المحاضرة 6

الإلياذة لمفدي زكريا

التعريف بالشاعر:هو الشيخ زكرياء بن سليمان بن يحيى بن الشيخ سليمان بن الحاج عيسى، ولد سنة1908 ، ببني يزقن بغرداية، في جنوب الجزائر.

بدأ حياته التعليمية في الكتاب، بمسقط رأسه ثم رحل إلى تونس وأكمل دراسته بالمدرسة الخلدونية ثم الزيتونية، ولما قامت الثورة انضم إليها فكان شاعر الثورة وعضوًا في جبهة التحرير، دخل السجن مرات عديدة ثم فر منه سنة1959. وافته المنية بتونس سنة 1977 ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه.

من مؤلفاته اللهب المقدس صدر سنة 1961، تحت ظلال الزيتونة سنة 1965، من وحي الأطلس صدر سنة 1976، إلياذة الجزائر سنة 1972، كتب النشيد الوطني الجزائري ولحّنه الملحن المصري محمد فوزي

موضوع إلياذة الجزائر:

هي وبلا شك أروع ديوان يروي تاريخ وبطولات الجزائر، تتكون من ألف بيت وبيت تحكي قصة شعب ناضل ضد الاحتلال على امتداد تاريخ الجزائر، ويستعرض الشاعر فيها أمجاد وبطولات الجزائر من خلال عرض أهم شخصياتها كملوك الأمازيغ من ماسينيسا ويوغرطة ويوبا وتاكفاريناس فيرموس وغيرهم وبطولاتهم في الدفاع عن بلدهم الجزائر ضد الغزو الروماني، والوندالي و البيزنطي..... يقول:

دعوا مسينيسا يردد صدانا ذروه يخلد زكى دمانا
وخلوا سفاكس يحكي لروما مدى الدهر كيف كسبنا الرهانا
وكيف إذا ظافرا ماسينيسا بزامة لم يرضى فيها الهوانا

وكم ساوموه فثار إباء و أقسم أن لا يعيش جبانا

إلى جانب هذا يروي تاريخ الجزائر في الحكم الإسلامي ودخول المسلمين إلى الجزائر وقبول الأمازيغ الإسلام وتعايشهم مع العرب. بفضل المبادئ السمحة التي جاءت بها تعاليمه التي تسعى لنشر العدالة والحرية ...

وهبنا العروبة جنسا ودينا وإنا بما وهبنا قد رضينا
إذا كان هذا يوحد صفا ويجمع شملا رفعنا جبينا

ثم يخلص إلى الفترة العثمانية ثم احتلال الجزائر والاستعمار الفرنسي، وأهم الثورات التي قادتها المقاومة الشعبية، وعن جمعية العلماء المسلمين، والشيخ عبد الحميد بن باديس، ويقول في الأمير عبد القادر مؤسس الدولة الجزائرية ويفتخر ببطولاته:

أيا عبد قادر... كنت القديرا وكان النظال طويلا عسيررا

شرعت الجهاد، فلباك شعب وناجاك رب فكان النصيرا

ويعرج إلى نوفمبر قائلا:

نوفمبر جل جلالك فينا ألست الذي بث فينا اليقينا؟

سبحنا على لجج من دمانا وللنصر رحنا نسوق السفينا

ورحنا نفجر نارا ونورا ونصنع من صلبا الثائرين

وترتبط الإلياذة بمسيرات البطولات والنضال والأمجاد والتضحيات عن الاستقلال وبعض رجالات الجزائر وأعلامها عن الوحدة المغاربية عن فلسطين والمشرق العربي وكان الختام بالحديث عن الاستقلال ومنجزاته وبناء الدولة

وفي خضم هذه المواضيع كان يتغنى بجمال للجزائر وجبالها ومدنها وطبيعتها الساحرة الخلابة وإبداع الخالق في تصويرها

جزائر، يا بدعة الفاطر ويا روعة الصانع القادرِ

ويا بابل السحرِ، من وحيهَا تلقّبَ هَاروتُ بالسَّاحرِ

ويا جنَّةً غارَ منهَا الجنان وأشغله الغيبُ بالحَاضرِ

ويا لجةً يَستحِمُّ الجمَال ويَسبَح في مَوجهَا الكافرِ

ويَا ومضةَ الحبِّ في خاطري وإشراقةَ الوحي للشَّاعرِ

خصائص الإلياذة:

القران الكريم: نشأ الشاعر على التربية الدينية فتشربت أفكاره من القرآن والسنة، فهو المنبع والمصدر الأساسي الذي كان يستقي منه أفكاره وألفاظه وقد ظهر ذلك جليا واضحا في بنية قصائده لغة وتصويرا وموسيقى مثل قوله:

وفي قدس جناتنا الناضرة وجوه، الى ربها ناظرة

نحس في البيت بنفس الجرس الموسيقي المنبعث من الآية الكريمة في سورة القيامة (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) حتى إنه يطوع النص لفظا وموسيقى.

تحضر بعض الأبيات لتكون دالا على الأخذ من القرآن الكريم والتأثر به، ويتمثل حضور النص القرآني بارزا وماثلا كما في قوله:

وزلزلت الأرض زلزالها وضج لعاصبك النيران

إن المستعمر أكل خيرات البلاد وعاث فيها فسادا؛ ولطغيانه زلزلت العارض من تحت، محاكيا الشاعر بذلك سورة الزلزلة وأهوال يوم القيامة.

-استدعاء الشخصيات الدينية والتاريخية:

يستحضر الشاعر مجموعة من الشخصيات الدينية والتاريخية ويستدعيها وفق نصه الشعري ويبعثها من جديد خدمة لأفكاره ومن الشخصيات الدينية نجد بعض الأنبياء والرسل :عيسى، ادم، وعاد، نوح ...، وبعض الشخصيات التاريخية لتبيين بطولاتها وانجازاتها العظيمة وتضحياتها عبر مواقف عديدة .

-**التكرار**: خاصية أساسية في شعر الإلياذة موسيقى، وهو يشحن الكلمة ويصوغها بنفس حماسي، ولعل أول ما نلحظه اللازمة التي تعد من الأدوات التي يبنى عليها التكرار والتي تتكرر بعد كل مقطع على طول الإلياذة :

شغلنا الورى وملأنا الدنا

بشعر نرتله كالصلاة

تسابيحه من حنايا الجزائر

ونجد أن اللازمة تأتي مكملة للمقطع من حيث الدفقة الشعورية في أغلب الحالات

ويحضر التكرار في تكرار النداء بقوة في الإلياذة ويتوالى بصورة مكثفة مثل المقاطع التي يتحدث عن جمال الجزائر عبر الوصف المتوالي لاعتزازه وفخره بوطنه لا سيما أنه يستعرض ذلك التاريخ البطولي للجزائر كصورة متعاقبة ومتحركة بكل عناصرها في مشاهد بطولية، تكرار يشد انتباه المتلقي.

كما يتجلى التكرار في **الاستفهام** الذي يفتح المجال بين المتلقي والشاعر، ويعمل على التأثير في المتلقي ويصبح المتلقي بموجبها فاعلا ومنتجا، يقول:

وهل فت فيليب في عزمنا وحط القساوسة في شأننا؟

وهل نابليون ومن وسمته يداه استهان بإصرارنا؟

وهل لافجري وطول السنين اسطاع المروق بأطفالنا؟

الغاية من الاستفهام هنا التقرير، فالشاعر على علم مسبق بالجواب فهو يسأل ليقدم الحجة على جبروت الاستعمار وصمود الجزائر، وقد أفادت أداة الاستفهام "هل" هنا النفي ففيليب لم يحط من عزم الشعب الجزائري، ولا نابليون بإصرار أبطال الجزائر، ولا الأسقف لافيجري الذي قاد حملته للتنصير، استطاع تنصير أطفال الجزائر.

هذا التكرار بأنواعه تشبع بتكثيف دلالي وبث تلك الشحنة المنبثقة منه وتفجير مكامن بطولات الجزائر في النص وفي ذات الشاعر المتأججة.

المراجع:

-مفدي زكريا، إلياذة الجزائر

- سمير نور الدين دردور، ملحمة الجزائر، شرح تاريخي لإلياذة الجزائر لشاعر الثورة مفدي زكريا، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017.

-يحيى الشيخ الصالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا،، دراسة تحليلية، دار البعث، ط1، 1987، قسنطينة.

-بلحيا الطاهر، تأملات في إلياذة الجزائر لمفدي زكريا، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989، الجزائر.

- محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال والثورة، جمعية التراث، العطف، غرداية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط2، 1969.